المقياس: فلسفة التاريخ

المستوى: الثانية فلسفة /ليسانس

الدكتور: و/ حيدوسي

المحاضرة 2:

نظرية العناية الالهية كتفسير للتطور التاريخي

لقد ظهر عدد من المفكرين على مر الزمن، حاولوا تقديم تفسيرات لمسار التاريخ ,وتعليل ضرورته وربما من أقدم تلك المحاولات الفكرية محاولة تفسير التاريخ برده إلى ما اصطلح عليه " العناية الإلهية " التي يعتقد أنها ذات تأثير بالغ على مجرى الأحداث التاريخية ،فما حقيقتها ؟وكيف يأثر الدين واللاهوت في تحريك عجلة التاريخ؟ ومن هم رواد هذه النظرية ؟ وما هي حججهم ومبرراتهم ؟

قبل كل ذلك ،نود تحديد معنى "نظرية العناية الإلهية " فنقول أن فكرة العناية الإلهية من المعتقدات القديمة التي كشف البحث أنها قد سادت في التفكير القديم، وعرفتها شعوب كثيرة كالمصريين الذين آمنوا بمدى تأثير الفرعون والآلهة المصرية في تغير الواقع والتاريخ , ونفس الشيء يقال عن الأشوريين وقدماء اليونان والرومان وغيرهم ومفاد هذه النظرية أن الكون بمختلف ظواهره حتى الإنسان ،تسري عليه قوانين إلهية متعالية مقدسة تتحكم فيه كلية ،فلا مجال للصدفة ولا للعشوائية أو الحظ ،وبذلك فأحداث التاريخ كذلك تخضع لإرادة الله فهي غير متعاقبة ولا تكرارية بل تسير في شكل مستقيم ،وإرادة الإنسان متضمنة في الإرادة الإلهية وأفعاله كذلك فلا مجال للاختيار الحر , ولا لتغليب أفعال الإنسان وطاقته على إرادة ومشيئة الله .

سادت هذه الأفكار في الفكر المسيحي والإسلامي على سواء ،لكنها في المسيحية أشد ترسخا لأنها اعتبرت المشيئة الإلهية إحدى سماتها , حيث أغفلت خلال العصور الوسطى المسيحية حرية الإنسان العقلية والفاعلة، وسيطر الفكر اللاهوتي بجبريته على كل مجالات الفكر والمعرفة مع التسليم بالقدر والخضوع المطلق له, بما في ذلك ما يطرأ من أحداث وتغيرات على التاريخ ومساره

وتفسيره ، فالله هو الفاعل ،فكيف نظرت المسيحية إلى بداية ومسار التاريخ؟ ومن هو محركه ؟وما هي نهايته؟

1/-الخطيئة وبداية التاريخ:

لقد حاول رجال الدين المسيحي تقديم صياغة لاهوتية عن طبيعة العلاقة بين الأب والابن وروح القدس ، فأصدروا في مجمع نيقية [1]،الذي انعقد في سنة 320م قانون **الإيمان العام** الذي أكد أن الله تعالى واحد من حيث الجوهر أما من حيث الصفات الذاتية الأساسية (الأقانيم)فهو ثلاثة ولكل اقنوم من الاقانيم الثلاثة صفات خاصة يمتاز عن غيره ،فيمتاز الأب في المثلث الإلهي المسيحي بكونه مكون الكائنات والخالق لكل العوالم،ويمتاز الروح الابن بالحلول والتجسد وأنه مخلص العالم من الخطيئة ،ويمتاز الروح القدس بأنه المحيي المعيد وهو الذي يهب الحياة للعالم وهو سر الحياة ، وهو الروح المقدسة المسؤولة عن العالم ،وهو الدليل والمرشد ،إلا أن الأقانيم الثلاثة ليست منفصلة عن بعضها ،وإنما هي ثلاثة أقانيم للإله الواحد ولا يمكن لأحدها أن يكون مستقلا قائما بذاته . وتقدم المسيحية التاريخ في صورة **مأساة** أول فصولها يتألف من سقوط آدم ، ومن استمرار (الخطيئة)في ذريته حتى عيسى ابن مريم عليه السلام الذي يقدمه الله تعالى (فداء) لخطيئة آدم على خشبة الصليب ،حيث أن الله كان قد **غضب** على آدم وحواء وحكم على نسلهما بالعذاب الأبدي ، ثم **أحب** الله العالم **وندم** على حكمه **فضحى** بابنه الوحيد كفارة عن البشر ، و أن السيد المسيح قد حمل وزر خطيئة العالم في جسده على خشبة الصليب ،وجعل نفسه فدية عن علم و رؤية و اختيار في سبيل خلاص الذين يؤمنون به من الخطيئة، وأن الأب قد بذل ابنه الوحيد لتكون للذي يؤمن به الحياة الأبدية.

---

[1] سمي مجمع نيقية بهذا الاسم نسبة الي مدينة نيقية التي عُقد فيها وهي العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى،وحضر افتتاح المجمع الامبراطور قسطنطين الأول ،وتراوح عدد الاساقفة بين 250 الى 318 اسقف. عقد المجمع بناء على تعليمات من الامبراطور قسطنطين الأول لدراسة الخلافات في كنيسة الإسكندرية بين آريوس واتباعه من جهه وبين الكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) واتباعه من جهة أخرى حول طبيعة يسوع هل هي نفس طبيعة الرب ام طبيعة البشر.

و يلاحظ أن فكرة الفداء قد منحت المؤمنين بالمسيح على مدى الأجيال أمل الرحمة و الخلاص من ذنوبهم, كما عزز هذا الاعتقاد بأن المسيح سيكون قاضي الدينونة بعد الموت، و كل من يؤمن به يخلص من الخطيئة و من العذاب الأبدي ،بل أن حق مغفرة الذنوب توسع في المسيحية ليشمل تلاميذه و خلفاءهم من رجال الدين استنادا إلى ما أوردته الأناجيل،كما يلاحظ أن توسع رجال الدين في استخدام هذا الحق و إساءة استخدامه في بعض العصور من خلال حق الاعتراف و إصدار **صكوك الغفران** قد أدى إلى ضعف المسؤولية الأخلاقية لدى الناس, و سعي الأغنياء و ذوي السلطان إلى شراء المغفرة و دخول الجنة بأبخس الأثمان مما قاد إلى ردة فعل و دعوات قوية للإصلاح الديني،و العلاقة بين الزمني (التاريخي) و المطلق (الإلهي) تتضح معنى شرح عنى مصطلح (ملكوت) الذي دعا المسيح إلى تحقيقه. إن (ملكوت
) مصطلح آرامي يعني الملك أو المملكة, فملكوت الله هو أولا ملكه وحكمه,و ملكوت الله بحسب بعض النصوص الإنجيلية هو مملكة يحكم الله فيها بواسطة **مسيحه،** ويرتبط ظهور ملكوت الله عند المسيحيين **بظهور المسيح على الأرض** و انطلاقه للتبشير بدعوته بين الناس و العمل على تأسيس نواة الجماعة المسيحية التي أخذت شكلها التنظيمي في صورة **(الكنيسة)**،وقد أشار المسيح إلى ذلك بصراحة حين خاطب بطرس بقوله:"و أنا أقول لك أيضا أنت بطرس,على هذه الصخرة ابني كنيستي, و أبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات ".

إن المسيحية ترى أن **الله قد دخل في التاريخ** متجسدا في صورة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ليقيم ملكوت الله في الأرض ، ثم ليقدم نفسه **فداء** لخطيئة آدم عليه السلام ، ثم **يعود** مرة ثانية إلى السماء من خلال البعث والصعود وبذلك يمنح البشر **الأمل** في الخلود ،ويرى المسيحيون أن الكنيسة قد أخذت على عاتقها مسؤولية التبشير بتعاليم المسيح وإقامة ملكوت الله في الأرض طوال مدة **(غيبة)** المسيح عن الأرض في السماء ، وتتمتع الكنيسة بكامل **سلطات** المسيح عليه السلام التشريعية بناء على التخويل الذي منحه لحواريه في الحل والربط ، كما تتمتع بالعصمة من الخطأ وذلك لأن سلطاتها مستمدة من المسيح عليه السلام مباشرة . ويعتقد المسيحيون أن الروح
(الروح القدس) بصفته الأقنوم الإلهي الثالث يؤدي دورا عظيما في حياة البشر

والكنيسة ، فهو الذي يعين الأشخاص الذين يقودون الكنيسة ، ويعين لهم مكان العمل ، ونوعه ومجاله وزمنه وأسلوبه ، ولا يترك شيئا مهما صغر أو كبر دون إعداد وترتيب وتنسيق وتنظيم وهو سيضمن للكنيسة سيرها في كل العصور حتى تبلغ مجدها الأبدي العظيم .

ويعتقد المسيحيون أنه إذا حان موعد ذلك اليوم ، فإن المسيح عليه السلام **سيعود** إلى الأرض ، ويقيم مملكة على الأرض ، عند ذلك سيبعث الأموات من قبورهم ويتولى المسيح عليه السلام بمعاونة الملائكة محاسبتهم على أعمالهم السابقة فيجازي الأبرار بدخول الجنة ويعاقب الأشرار بدخول النار.